المستويات اللغوية في المعاجم الحديثة بين المحافظة والتطوّر

مجاور سيد مجاور سكران
megawer2000@gmail.com

كبير باحثين – مجمع اللغة العربية بالقاهرة

Abstrak

Sarjana Arab sejak masa klasik sampai masa modern menaruh perhatian kepada disiplin ilmu leksikografi Arab. Perhatian kepada ilmu leksikografi yang sangat membantu pengguna dan penutur aktif bahasa Arab ini tampak sejak era Khalil bin Ahmad (786 M.) yang menulis kamus *Al-'Ain* sampai masa Ahmad Mukhtar Umar (2003) dengan kamusnya *Mu'jamu al-Lughah al-'Arabiyyah al-Mu'āshirah*. Studi linguistik modern kemudian menghasilkan level bahasa (*language levels*) yang ditemukan pada kamus-kamus Arab. Level bahasa ini tentu berbeda dalam pandangan para leksikograf Arab. Sebagian melihatnya dari perspektif level bahasa yang mencakup sintaksis, morfologi dan fonologi yang banyak diacu oleh kamus-kamus klasik dan modern. Sebagian yang lain memandang level bahasa berupa ragam bahasa *ammiyyah* (*al-'āmmī/colloquial Arabic*) dan ragam bahasa asing (*al-a'jamī/foreign language*). Kedua ragam ini mendapat perhatian dari kamus-kamus Arab melalui sejumlah penjelasan baik secara eksplisit atau implisit yang ada dalam kamus-kamus tersebut. Level bahasa juga mencakup bahasa khazanah (*turāts*) karya sastra yang dinilai sebagai landasan dasar bagi para pengguna dan pengkaji bahasa. Selain *turāts*, level bahasa lisan yang digunakan sehari-hari juga ditemukan dalam kamus-kamus Arab. Level bahasa ini mengalami perubahan artikulasi pada sejumlah kosakata dalam bentuk perubahan tanda baca (*charakat*). Artikel ini menguraikan empat level bahasa tersebut oleh kamus-kamus Arab modern dengan tujuan untuk menunjukkan sejauh mana kamus Arab modern memanfaatkan paradigma leksikografi Arab klasik dan kontribusinya terhadap pengembangan deskripsi kosakata bahasa untuk penutur bahasa saat ini dan pengguna kamus Arab modern.

Kata Kunci: level bahasa, leksikografi Arab, *Mu'jamul Lughah Al-'Arabiyyah Al-Mu'āshirah*, pengembangan kosakata.

Abstract

Arabic scholars from the classical to the modern period paid attention to the disciplines of Arabic lexicography. A great attention was given to lexicography, which was fundamentally helpful for active users and speakers of the Arabic language since the era of Khalil bin Ahmad (786 AD) who wrote the *Al-'Ain* dictionary to Ahmad Mukhtar Umar's (2003) period with his dictionary *Mu'jamu al-Lughah al-'Arabiyyah al-Mu'āshirah*. Modern linguistic studies then produce language levels found in Arabic dictionaries. This level of language is certainly different in the view of Arab lexicographers. Some see it from the perspective of a language level that includes syntax, morphology and phonology, mostly referred to by classical and modern dictionaries. Some others see the language levels typically a variety of languages *ammiyyah* (*al-'āmmī/colloquial Arabic*) and various foreign languages (*al-a'jamī/foreign language*).

Both of these varieties have seized the attention of Arabic dictionaries through a number of explanations either explicitly or implicitly in these dictionaries. Language levels additionally includes the treasure of language (*turāts*) literary works are assessed as the basic foundation for language users and reviewers. In addition to *turāts*, the level of spoken language used daily is also found in Arabic dictionaries. This language level undergoes articulation changes in a number of vocabularies in the form of changes at the vowel marks (*charakat*). This article outlines these four levels of language by modern Arabic dictionaries which aim to show the extent to which modern Arabic dictionaries make use of the classical Arabic lexicography paradigm and its contribution to the development of descriptions of language vocabulary for current language speakers and modern Arabic dictionary users.

Keywords: language levels, Arabic lexicography, Mu'jamulLughah Al-'Arabiyyah Al-Mu'āshirah,vocabulary development.

المقدمة

مما لا شكَّ فيه أن الدراسات المعجمية لم تحظ بمكانة لائقة في الدرس العربي الحديث إلا في بعض البلدان، حيث إنها تقدَّم في عدد كبير من البلدان العربية كفرع من الدراسات اللغوية في أقسام علم اللغة، الأمر الذي جعلها دراسة هامشية وفرعية وغير مؤثرة عند الطالب العربي، ولذا لم تحظ بالتأليف المنهجي المدروس والمتواصل مع التطور الحديث في هذا العلم الذي لا ينكر أهميته أحد.

وعلى الرغم من إيلاء العرب القدماء عناية كبيرة بفن صناعة المعجم بنوعيه العام والمختص، الأمر الذي يدلُّ دلالة واضحة على حاجة مستخدمي اللغة لهذا الفن من التأليف إلا أننا نرى أن هذه العناية بالمعجم قد فترت في العصور الوسيطة، التي كان وضع المعاجم فيها من الصعوبة بمكان، يؤكّد هذا التراث المعجمي الذي وصلنا منهم وقيمته في عالم المعجمات العربية، وقد شهد القرن العشرون نشاطًا معجميًّا ملحوظًا تمثَّل في إصدار عدد من المعاجم العربية التي تباينت مناهجها في العرض والتقديم. وبعد انطلاق الدرس المعجمي الحديث واستقرائه المعاجم القديمة والحديثة أعيدت صياغة عرض هذا العلم من خلال اتّفاق الدراسات المعجمية الحديثة على أن المعجمية العامة تتفرع إلى معجمية عامة نظرية توافق ما يسمى في اللسانيات الحديثة "Lexicologie" ومعجمية عامة تطبيقية توافق ما يسمى " Lexicographie" وموضوع الأولى البحث في الوحدات المعجمية من حيث مكوناتها– كالانتماء المقولي والتأليف الصوتي والبنية الصرفية– وأصولها واشتقاقها ودلالاتها، وموضوع الثانية البحث في الوحدات المعجمية من حيث هي مداخل معجمية تجمع بين مصادر ومستويات لغوية ما، ثم توضع في كتاب – هو المعجم المدون– بحسب منهج معين يتقيّد به المؤلف في ترتيب المداخل وتعريفها.

وثمّة ركنان أساسيان يقوم عليهما التأليف المعجمي : الأول اصطلح عليه بالجمع، وهو تكوين المدونة المعجمية، والثاني اصطلح عليه بالوضع، وهو معالجة المداخل التي يشتمل عليها المعجم. وركن الجمع في المعجم يقوم على أسّين :أولهما اصطلح عليه بالمستويات اللغوية، وثانيهما اصطلح عليه بالمصادر. والمستويات اللغوية في المعجم العربي – من وجهة نظر الباحث والتي أشار إليها جل الدارسين – تنقسم إلى المستويات اللغوية الأساسية، وهي: النحوي والصرفي

والصوتي وهي المستويات التي تعتمدها المعاجم قديمها وحديثها، ولكننا نلحظ أن المعاجم الحديثة قد ابتعدت بعض الشيء عن تقصي هذا كما حاولت أن تفعل المعاجم القديمة. ومن المستويات اللغوية أيضًا مستويان رئيسيان هما: العامي والأعجمي؛ وقد عُنيت بهما المعاجم وأبرزتهما، حيث أبرزت كلاًّ منهما من خلال الإشارة إليه وتمييزه. ومن المستويات اللغوية أيضًا: لغة الموروث الأدبي (التراث)، فالتراث بمفهومه العام يعدّ ركيزةً أساسية لأي مستخدمٍ للغة أو متعاملٍ معها أو دارسٍ لها أو عنها؛ وختامًا يأتي مستوى اللغة البسيطة اليومية، وهي لغة الناطقين بالعربية الآن الذين يحوّلون نطق بعض المفردات من خلال تعديل ضبط حروف الكلمة.

وقد استعرض الدكتور إبراهيم بن مراد في ورقته المعنونة: " أسس المعجم المختص اللسانية" هذه المستويات فأشار إلى أنها أربعة : أولها الفصيح ، وهو القديم الذي دوّنته المعاجم اللغوية لانتمائه إلى العرب الفصحاء، وثانيها المولّد، وهو العربي الذي وضعه المولدون في مختلف عصور العربية بعد القرن الأول الهجري خاصة؛ وثالث المستويات هو العامي، وهو العربي الذي ولّده العامة، سواء بالوضع أو بتحريف الفصيح، ورابع المستويات هو الأعجمي، وهو المقترض من اللغات الأعجمية. وهو في تقسيمه لا يختلف كثيرًا ولكنه يولي اهتمامًا كبيرًا بالمولد والأعجمي . ومن المعلوم أن المعجم العام يُبْنى على رصيد لغوي مستقر هو الذي دونته المعاجم القديمة في الغالب، لذا فإن العربية الحديثة – بدوالها ومدلولاتها المستحدثة– مازالت ضعيفة المنزلة في معاجمنا اللغوية العامة الحديثة؛ وهذا ما سنلحظه من خلال استعراض مناهج المعجمات الحديثة التي تتعرض لها هذه الورقة. حيث إننا نلاحظ من خلال استخدامنا للمعاجم القديمة والحديثة أنها تعتمد على بعضها، وأن بعضها ينقل من بعضها الآخر ويعتمد عليه في جمع مادته المعجمية ، والحديثة منها صور مهذبة مشذبة من معاجمنا القديمة، ومعاجمنا المتأخرة صور مهذبة من المعاجم الحديثة المتقدمة عليها.

المعاجم الحديثة ومناهج وضعها.

تحاول هذه الورقة – بإيجاز – التعرّض لاستخدام المعاجم الحديثة لهذه المستويات من خلال استعراض عدد من مناهج هذه المعجمات في محاولة لإظهار مدى محافظتها على النسق الكلاسيكي القديم، وما أسهمت به من تطوُّرٍ في عرض اللغة بما يخدم الناطقين بها الآن ومستخدمي المعجم اللغوي الحديث، وذلك من خلال استعراض مناهج ستة من المعجمات اللغوية الحديثة، ونستهل هذا العرض باستقراء منهج "معجم متن اللغة" الذي وضعه العلامة اللغوي الشيخ أحمد رضا، استجابة لاقتراحٍ من المجمع العلمي العربي بدمشق (مجمع اللغة العربية بدمشق – الآن) وصدر في ستينيات القرن العشرين؛ وأوضحَ منهجَ عملِه من خلال النقاط الرئيسية التالية:

أ. بدأ المعجم بمقدمة تضمّنت بحثًا طريفًا عن نشأة اللغة وتطورها.

ب. رتّب المعجم على أصل المادة المجردة من الزيادات في الحروف، كما هو الحال في سائر معاجم اللغة العربية قديمها وحديثها.

ت. بدأ بالترتيب على نسق: الألف قبل الباء، والألف مع الباء قبل الألف مع التاء، وهكذا في ثالث الحروف منها.

ث. ذكر مصادر الفعل الثلاثي كلّها؛ لأنها سماعية ليس لها ضابط مطّرد. أمّا مصادر الثلاثي المزيد والرباعي مجرّدًا أو مزيدًا فلم تذكر اكتفاءً بعلم القارئ (وقد وضع المؤلف

جدولاً للمصادر المطّردة يستحضر الطالب فيه ما يغيب عن ذهنه).

ج. يذكر اسم الفاعل واسم المفعول مع الفعل. أما إذا كان في ذكره مفردا فائدة فيذكر مفردا.

ح. ذكر النسب الشاذة، ونبّه على شذوذها. ولم يذكر القياسية إلا فيما ندر.

خ. أشار إلى ضبط حركة عين المضارع.

د. ذكر الجموع ما استطاع؛ لأنها في الثلاثي سماعية في الأغلب، ليس لها ضابط مطّرد.

ذ. عند اختلاف الأئمة في تفسير الكلمة اختير ما اتفق معناه بحسب نظر المؤلف، كما تجنب سرد أقوال الأئمة في الاستدلال مراعاة لأن القارئ لا يطلب غير معنى الكلمة.

ر. أشار إلى المجاز معتمدًا في الحكم بمجازيته على أقوال الأئمة؛ كما أشار إلى الأصل في معنى الكلمة معتمدًا على نصوصهم أيضًا.

ز. إذا عثر على كلمة نادرة نادّة عن مادتها، ولاحقة عرضًا بغيرها في كتب الأئمة، وضعت في مادتها وأشير إلى المادة التي نقلت منها لمراجعتها.

س. ذكر ما وضعه أو صحّح إطلاقه كلٌّ من مجمع اللغة العربية بالقاهرة ومجمع اللغة العربية بدمشق حتى إصدار معجمه.

ش. حاول المؤلف قدر الطاقة ردّ العامي إلى الفصيح ما أمكنه لذلك سبيلٌ، وهو جهد مميّز يحتاج للدرس والتأمّل والاستكمال.

ص. ذكر الكلمات التي طرأت في العصر العباسي، واستخدمها مؤلفو هذا العصر، ما اندثر منها وما بقي في الاستعمال.

ض. ذكر المؤلف كل المواد المذكورة في معجمي لسان العرب وتاج العروس، وقد حرص على ألاَّ تفوته أية مادة.

ط. اعتمد على كتب الأئمة السالفين، ولم يعتمد كتب المتأخرين المعاصرين لأنها غير مأمونة الخطأ.

ظ. لم يذكر اصطلاحات العلوم والفنون؛ لأنها خارجة عن اللغة من وجهة نظره، إلا ما كان منها له أساس بالمتن.

ع. حاول ما أمكنه معالجة تداخل الواوي مع اليائي في المعتل الأجوف والناقص من خلال تصور تحكمه البنود التالية:

١- ما لا خلاف في أصله، كقام فيما أصله الواو، وباع فيما أصله الياء

٢- ما صح عندهم مجيئه واويًّا أو يائيًّا بمعنى واحد، وهذا الضرب أكثر من أن يحصى في كلامهم.

٣- ما اختلفوا في أصله.

٤- ما استعمل في معنيين متفرعين من أصل واحد.

٥- ما لم يظهر لهم أصله فحملوه على أحد الوجهين أو أجازوه فيهما معًا.

وقد جرى المؤلف على جعل ما كان من الضرب الثاني والثالث والخامس في مادة واحدة، وفَصَلَ فَصْل الواو عن فصل الياء فيما كان من الضرب الرابع. وأما الضرب الأول فهو متميّز بلفظه ومعناه. وقد أحصى المؤلف في جدولٍ الكلمات التي طرأت على معجم ممّا عربه هو نفسه، وممّا عربه مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ومجمع اللغة العربية بدمشق، ومجمع مصر الأول١٨٩٣ ونادي دار العلوم بمصر١٩١٠، فضلاً عمّا عربه العلمان أحمد تيمور

المصري وأنستاس الكرملي. كما ضمّن مقدّمة معجمه عددًا من الجداول المفيدة، هي:

- المصادر القياسية للأفعال المزيدة.
- المقادير عند العرب.
- الأوزان.
- المقاييس.
- جداول الأوزان والمكاييل.
- جدول المساحة.

وقد حرص الباحث على استعراض مقدمة متن اللغة بصورة شبه مستقصية إلى حدٍّ ما إيمانًا منه بأن جميع المعاجم التالية له لم تزد على منهجه شيئًا بل كان هو الأكمل في الاستقصاء والمعالجة.

نأتي إلى "المعجم الوسيط" الذي أصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة في طبعته الأولى عام١٩٦٠ من القرن العشرين، وتوالت طبعاته، وقد استقبله الدارسون والباحثون استقبالاً رائقًا، وغدا عمدة المعاجم اللغوية الحديثة والمرجع الأول والأوفى في العربية في العصر الحديث، ولايفوتني أن أذكر أن المجمع يتوفّر الآن على إصدار الطبعة الرابعة منه، ويقوم على تحديثه نخبة من أعضاء المجمع وخبرائه ومحرريه، والأمل معقود على إخراجه في القريب بإذن الله. أما عن منهج الوسيط الذي يستخدمه الباحثون الآن فقد جاء في مقدّمته – باختصار وتعديل-:

أهملت اللجنة كثيرًا من الألفاظ الحوشية الجافية، أو التي هجرها الاستعمال لعدم الحاجة إليها، أو قلّة الفائدة منها. كما أهملت الألفاظ التي أجمعت المعاجم على شرحها بعبارات تكاد تكون واحدة، شرحًا غامضًا مقتضبًا. كذلك أغفلت بعض المترادفات التي تنشأ عن اختلاف اللهجات؛ وعنيت بالحي السهل المأنوس من الكلمات والصيغ، واستعانت في شرحها للألفاظ بالنصوص والمعاجم التي يعتمد عليها وعزّزت ذلك بالاستشهاد بالآيات القرانية والأحاديث النبوية والأمثال العربية والتراكيب البلاغية المأثورة عن فصحاء الكتاب والشعراء، وصوّرت ما يحتاج توضيحه إلى صور. وآثرت في شرحها الأساليب الحية على الأساليب الميتة، وأدخلت في متن المعجم ما دعت الضرورة إلى إدخاله من الألفاظ المولّدة أو المحدثة أو المعربة أو الدخيلة، التي أقرها المجمع، وارتضاها الأدباء.

ويتلخّص المنهج في ترتيب المواد فيما يلي:

١- تقديم الأفعال على الأسماء.
٢- تقديم المجرّد على المزيد من الأفعال.
٣- تقديم المعنى الحسي على المعنى العقلي، والحقيقي على المجازي.
٤- تقديم الفعل اللازم على الفعل المتعدي.

أما الأسماء فقد رتبت ترتيبًا هجائيًّا بعد ترتيبها في المادة.

أما " المنجد" الذي تعدّدت طبعاته فهو في الأصل مكون من مواد منجد "المعلوف"، تراث المطبعة الكاثوليكية، وقد زيد عليه آلاف المفردات والمعاني المستحدثة من لغة المعاصرين، فضلاً عن الكثير جدًّا من اصطلاحات ذوي العلم والاختصاص بمختلف ميادين المعرفة، وقد تناول القائمون عليه الكثير من الكلمات القديمة والحديثة بالإيضاح والتفسير وبالشرح العلمي وتحديد أصولها، مع اجتهادهم في ذكر اللغة الأم التي ينتمي إليها الكلام الدخيل، إضافة إلى تعيين حقول المعرفة التي تستعمل فيها بعض المفردات. وقد انتهجوا نهجًا يحافظ على روح اللغة ويراعي تقاليد المعاجم، فرجعوا إلى هذه المعاني الأصلية وفصّلوها، ثمّ رتّبت مشتقاتها وفق الطريقة التقليدية.

ونعرض الآن لمنهج " المعجم العربي الأساسي" الذي أصدرته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالتعاون مع دار لاروس الفرنسية في العام ١٩٨٩ وقدّم له محيي الدين صابر. يضم هذا المعجم خمسة وعشرين ألف مدخل مرتبة ترتيباً ألفبائيًّا انطلاقًا من جذر الكلمة، مفسرة بدقة وإيجاز، ومعززة بالشواهد القرآنية والأمثلة من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والأمثال والعبارات السياقية ولغة المعاصرة. وهو لا يستنكف أن يورد الكلمات المولدة المعربة والدخيلة التي دخلت الحياة واستعملها رجال الفكر والثقافة وأقرتها المجامع اللغوية العربية، على أنه يتجنب الحوشي والغريب ويتنكب المهمل والمهجور من الألفاظ، فلا يورد إلا ما هو معروف شائع، أو ما هو جدير بأن يعرف من مفردات اللغة الجارية على ألسنة العلماء والأدباء والمثقفين والصحفيين وأقلامهم، والمبسوطة في المؤلفات والبحوث والدراسات العربية.

هذا وللمعجم سمة موسوعية محددة، فهو يتناول عدداً من المصطلحات الجديدة، الحضارية والعلمية والتقنية، ويتعرض في إيجاز إلى طائفة كبيرة من أسماء الأعلام، كأسماء القارات والبلدان والمدن والأنهار وأسماء النابغين في التاريخ العربي من خلفاء وقادة وفقهاء وعلماء وشعراء وفنانين...إلخ. ويتميز هذا المعجم، في إطار وظيفته الأولى، وهي تيسير تعليم العربية لغير الناطقين بها، بالإحاطة والشمول، فهو يضم كل ما يحتاج إليه مستعمله، فوسعت مادته كثيراً من مجالات المعرفة كالدين والآداب والعلوم والفنون والإعلام، من خلال اللغة الفصيحة الحية والمستعملة، في هذا العصر في الوطن العربي الكبير مع الإشارات في بعض المواضع إلى استعمالات قطرية خاصة، وهو يتميز كذلك بالبساطة والوضوح؛ فقد صممت منهجيته بما يمكِّن المنتفعين به من استعماله في سهولة ويسر.

وقد تضمنت هذه المنهجية القواعد التي جعلت الأساس لترتيب مواده والقواعد التي تتبع في استخدامه، وبياناً بالرموز التي استعملت فيه. وقد زود المعجم ببعض المعلومات الضرورية لمستخدميه مثل النظام الصرفي في اللغة العربية، مما هو ذو صلة وثيقة ببنية المعجم ذاتها، ومثل قواعد الإملاء التي تعين الدارس على الكتابة الصحيحة، مع لمحة موجزة عن اللغة العربية وطرائق تنميتها.

هذا ويعد المعجم العربي الأساسي، بخواصه ومميزاته، حصيلة جهد جماعي، ندبت المنظمة له نخبة مختارة من المعجميين وعلماء اللغة العربية من مشرق الوطن العربي ومن مغربه، ممن فقهوا اللغة العربية وسبروا أغوارها، واستكنهوا أسرارها وخدموها بتجرد واقتدار من العلماء العرب المعجميين في الوطن العربي، وفي خارجه؛ وممن جمعوا إلى ذلك ممارسة تربوية، وقد باشروا هذا العمل الجماعي، في فرق عمل، لكتابة المعجم، ولمراجعته وللتنسيق بين موضوعاته، ثم لتحريره متكاملاً، ولمراجعته مرة أخرى مراجعة شاملة من قبل أساتذة متخصصين، حتى استقام.

ثمّ نصل لـ" المحيط " (معجم اللغة العربية المعاصرة) الذي توفّر على تأليفه كلٌّ من: أديب اللجمي وشحادة الخوري والبشير بن سلامة وعبد اللطيف عب ونبيلة الرزاز، وقدّم له أيضًا محيي الدين صابر، وصدر عن دار النشر (المحيط) في العام١٩٩٣. ولهذا المعجم ومنهجه خصوصية تفرّد بها على كل معاجم العربية القديمة والحديثة، حيث إنه يتبنى ترتيبَ مفرداته ترتيبًا ألفبائيًّا، ومنها تيسير الرجوع مباشرةً إلى الكلمة المراد معرفة معناها، ومنها احتواؤه على نحو أربعين ألف مفردة، كل منها مشروحة

بأسلوب واضح، مرفوقة باستشهاد من آيات القرآن الكريم، قمّة الفصاحة العربية، أو من الأحاديث النبوية الشريفة، ومن النماذج الرفيعة من الأدب العربي، شعرًا ونثرًا، ومن شوارد الحكم والأمثال التي تتضمن خبرة الأمة العربية وحكمتها، وقيمها العالية في الحياة؛ هذا إلى إمتاع القارئ وزيادة معارفه بالصور الملونة الرائعة التي حواها المعجم، وإلى جودة طباعته وإخراجه.

ونختم جولتنا بـ " معجم اللغة العربية المعاصرة " الذي قام به الدكتور أحمد مختار عمر وفريق عمله، وصدر عن عالم الكتب بالقاهرة في العام (٤أجزاء)٢٠٠٨ وهو أحدث ما صدر من المعاجم العربية حسب علم الباحث، ويتميّز هذا المعجم بأنه معجم عصري يقف على الكلمات المستعملة في العصر الحديث، والاستعمالات المستحدثة التي لم تفقد الصحة اللغويَّة، كما يغطِّي معظم الاستعمالات الخاصَّة بجميع أقطار الدول العربية من المحيط إلى الخليج، متفاديًا أوجه القصور التي شابت المعاجم المنتَجة قبله، التي تتلخَّص فيما يأتي:

١-الخلط بين المهجور والمستعمَل، وغياب كثيرٍ من المستحدَث.

٢-اعتماد بعض المعاجم على بعض، دون تمحيص أو تدقيق.

٣-القصور في تناول المعلومات الصرفية والدلالية لمداخلها.

٤-عدم إثبات معظم المصاحبات اللفظية التي يكثُر استخدامها، وكذلك التعبيرات السياقية التي اكتسبت معانيَ جديدة زائدة على معاني مفرداتها.

وقد حاول هذا المعجم تجنّب عيوب الأعمال السابقة عليه من خلال عدم اعتماده على معاجم السابقين، إنَّما ضمَّ إليها مادة غنيَّة بالكلمات الشائعة والمستعملة، باستخدام تقنية حاسوبيَّة متقدِّمة تمَّ بمقتضاها إجراء مسح لغويّ مكثَّف لمادة مكتوبة ومسموعة تُمثِّل اللغة العربية المعاصرة أصدق تمثيل، فقد تميَّزت بالمعاصَرة والسياقات المستعملة، بالإضافة إلى الاستعمالات الجديدة التي ترد في سياق مألوف لدى المستخدم، وتتجاوز في حجمها مئة مليون كلمة ومثال . وقد أعطى هذا الحجم الضخم للمادة المسحيَّة صلاحية الحكم على كلمةٍ بالشيوع؛ ومن ثَمَّ إدخالها في المعجم، أو بعدم الشيوع؛ ومن ثمَّ إهمالها وحذفها من المعجم (ويصدق هذا على معاني الكلمات). كما أمدَّت هذه المادة المسحيَّة القائمين بالعمل بكل المصاحبات اللفظية لأية كلمة، وبخاصة حروف الجرّ، حيث مكّنتهم من معرفة أكثر الاستعمالات شهرة وكذلك تتبع أنماطها الأكثر استعمالاً. كما أمدَّتهم بمعدَّل تكرار كلِّ كلمة.

ولعلّ أكثر ما يميز هذا المعجم هو توسعه في جملة من الأقيسة، على النحو التالي:

١. الإكثار من توليد أفعال على وزن "فعّل"، أو "فوعل"، أو "فعلن" لإفادة التعدية ونقل أثر الفعل إلى متأثر خارجي.
٢. الإكثار من استخدام المصدر الصناعي، وجمع الجمع.
٣. النسب بزيادة الألف والنون أو بزيادة الواو، أو إلى ألفاظ الجموع.
٤. الاشتقاق من أسماء الأعيان والأسماء المزيدة.

٥. معاملة بعض المركّبات الإضافيّة أو الوصفيّة معاملة الألفاظ المفردة...إلخ.

وآخر ما يتميز به هذا المعجم هو صدوره في شكلين: أحدهما ورقيّ، والآخر إلكترونيّ، وتتميز النسخة الورقية بوجود أربعة فهارس، كما تتميز النسخة الإلكترونية بالإمكانات الهائلة في استدعاء المعلومة المطلوبة بسرعة، وبأنظمة بحث متطوِّرة في كافة جزئيَّات المعجم، حيث يمكن لمستخدم النسخة الإلكترونية البحث عن أيّة كلمة أو عبارة في المعجم.

المستويات اللغوية بين المحافظة والتطور.

كان عرضنا المتواضع والمقتضب لنماذج من مناهج العمل في المعاجم الحديثة مدخلاً لابدّ منه للولوج إلى طرق معالجتها للمستويات اللغوية، حيث تتضمّن هذه المناهج كيفية إعداد هذه المعاجم وكيفية تناولها لهذه المستويات، ويشير من طرفٍ خفيٍّ إلى أن هذه المعاجم قد تخلّصت تمامًا من أسلوب العرض القديم الذي تبنى في أوّل الأمر الترتيب بحسب المخارج الصوتية كما هو عند الخليل وغيره، والنظام الدائري كما هو عند ابن فارس في المقاييس، ونظام القافية كما هو في جلّ المعاجم القديمة – لتتبنى النظام الألفبائي العادي في كل المعاجم تقريبًا، وفي حين ظلّ ويبقى الجذر اللغوي هو عماد المادة المعجمية قديمًا وحديثًا؛ فإننا نلحظ أن " المحيط " الذي أعدّه أديب اللجمي وآخرون قد ارتضى ترتيب مفرداته ألفبائيًّا متخليًا لأوّل مرة عن الجذر أو الأصل اللغوي، وهم بهذا أوّل من عامل اللغة العربية معاملة اللغات الآرية.

وأجدني مضطرًّا للاستشهاد بما قاله الشيخ أحمد رضا في مقدمته لـ"متن اللغة" في سياق الدفاع عن الترتيب المعجمي للمداخل في المعاجم العربية بحسب الأصل أو الجذر، حيث يقول:

" وإذا انقاد غير اللغة العربية من اللغات مع مرتّبي المعاجم على حروف الكلمة كما هي في أصلها وزائدها (كما ارتضى أصحاب المحيط)، فإن اللغة العربية لا تنقاد لذلك، لأنها من اللغات المتصرفة التي تدخل في صلبها الزيادات على المادة لزيادة في المعنى.وتتغيّر هيئة الكلمة، بتنوّع الاشتقاق وسعته وكثرته، تنوّعًا يبعث الشتات في الكلمات المشتقّة من أصل واحد إذا أريد ترتيبها على صورتها، ويدعو إلى تباعدها عن محالّها التي تألفها بعدًا يأباه الذوق العربي. كأكرم وكرّم، فالأولى تكون حينئذٍ في أوّل المعجم والثانية في آخره. ومكرّم تأتي في مادة أخرى؛ وكذلك التكريم، وهو مصدر كرّم، يجيء في غير مادتها. ومثل ذلك: ودّع وأودع واتدع وايتدع وتودّع واستودع والدعة والميدع، بل لا تسلم من هذا التشتيت كلمة من المشتقات، وهي تكاد تكون جماع اللغة.

وكذلك يأخذ بعض الحروف أكثر الكلمات إليه كحرف الألف مثلاً فإنّه يحتضن في شتّى فصوله من الكلمات، عدا الكلمات المبدوءة بالألف الأصلية، كل الكلمات المزيدة ألفًا في أوّلها، وصليّة كانت أو قطعية، كأفعل وافتعل وانفعل واستفعل وافعنلل وافعلّ وافعالّ. وإنني أجد أن إرجاع الكلمة إلى أصولها للاطلاع على معناها في المعجم هو من فضائل اللغة العربية كما قال المستشرق لوي ماسنيون: " وقد وجدنا خصائص في اللغات السامية ولا سيما العربية، فإن فيها فضائل خاصة بها دون سواها، منها : الأصول الثلاثية في الكلمات، أي إرجاع أي كلمة كانت إلى ثلاثة أحرف للاطلاع على معناها في المعجم، ولكن هذه الخاصة لا توجد في اللغات الآرية، فلا ترتّب المعاجم فيها بمقتضى أصول الكلمات بل ترتّب كل كلمة كما تلفظ." .

وبعد؛ فإن من يريد أن يحمل اللغة العربية السامية على مناهج غيرها من اللغات الآرية، مع تباين ما بينها من الخصائص والمزايا والمقوّمات، هو كمن يطلب في الماء جذوة نار.

ومكلّف الأيام ضدّ طباعها متطلّب في الماء جذوة نار".

ولعلّ في ذلك أبلغ ردٍّ على من يحاول الفكاك من الجذر اللغوي أو الأصل الثلاثي للكلمة في اللغة العربية.

وقد اتفقت المعاجم العربية قديمها وحديثها كما ذكرنا آنفًا في المستوى الصرفي، ولكنها تباينت في معالجة هذا المستوى فالمعاجم الحديثة لم توفِّ هذا الجانب حقه اعتمادًا منها على فطنة المتلقي.

وعند تناول المستوى المتعلّق بالفصحى، نجد أن المعاجم الحديثة تنقسم إلى ثلاثة أقسامٍ، القسم الأول الذي أولى الفصحى في ثوبها التراثي مقامًا رفيعًا ويمثله هنا " متن اللغة " و" المعجم الوسيط "، والقسم الثاني زاوج بين التراثي والمعاصر ويمثله هنا " المنجد " و" المعجم الوسيط "، والقسم الثالث وهو الذي اهتم اهتمامًا كبيرًا بالمعاصر على حساب الفصيح والتراثي ويمثله " المعجم العربي الأساسي " و" المحيط " و" معجم اللغة العربية المعاصرة ".

وعند تناول المستوى المتعلّق بالعامية فإننا نلحظ وفرته في كل المعاجم واهتمامها به، واحتلاله مكانًا متميّزًا فيها بل ومحاولة بعض معدي هذه المعاجم لردّه لأصله الفصيح أو تفصيحه، والنص على ذلك والإشارة إليه. وهو النسق نفسه الذي روعي عند معالجة الأعجمي والمعرب والدخيل والمحدث، حيث حرصت المعاجم على التنبيه إلى كلٍّ منها والإشارة إليه من خلال النص على ذلك إمّا بالرمز كما في متن اللغة أو بذكر نوع الكلمة كما في المعجم الوسيط فيما اجتهد البعض في تأصيل الكلمة كما في "المنجد".

أما الألفاظ المحدثة والمعاصرة فقد زخرت بها المعاجم الثلاثة الأخيرة "المعجم العربي المعاصر والمحيط ومعجم اللغة العربية المعاصرة " فهي كما تشير عناوينها قد صرفت جلّ اهتمامها إلى اللغة المعاصرة، وأهملت اللغة التراثية إهمالاً جسيمًا يؤخذ عليها ويحدّ من استفادة المتعاملين معها، حيث إن اللغة العربية من وجهة نظرنا وحدة واحدة لا فكاك منها فنحن إلى الآن نقرأ الكتب القديمة وعمدتنا فيها القرآن الكريم والتراث النبوي الشريف والكتب الصحاح وأمهات كتب التراث التي تزخر بمادة لغوية كبيرة أهملتها هذه المعاجم ساعية وراء القارئ الحديث متناسية ما يمثله ذلك من انبتات للصلة بين العربي وتراثه الزاخر.

ولعل قفزة " المحيط " التي انفرد من خلالها بترتيب مفرداته ترتيبًا ألفبائيًّا مهملاً الأصل الثلاثي للجذر اللغوي العربي أكبر ثورة على المعاجم العربية قديمها وحديثها على السواء، وهو أمر يشق على مستخدمي المعاجم العربية، وإن رحّب به — ولا أظنّ ذلك قد حدث– غير العرب أو المستشرقون المحدثون.

وبنظرة متأنية إلى المستويات اللغوية في المعاجم الحديثة نلحظ أن مؤلّفي هذه المعاجم قد بذلوا جهودًا جبارة للمحافظة على مستويات اللغة العربية الأربعة الرئيسية المتعارف عليها في محاولة منهم لتيسير التعامل مع المعجم العربي، وإثبات الكلمات الطارئة على اللغة لإثرائها وإغنائها، وجعلها وافية وملبية للغة العربي المعاصر التي تمتلئ الآن بالمفردات الأعجمية والدخيلة والحديثة والمحدثة، الأمر الذي تفطّن له مجمع اللغة العربية بالقاهرة فأصدر المعجم الوجيز ليلبي حاجة الطلاب حتى مرحلة التعليم الجامعي، والمعجم الوسيط لغير المتخصصين في اللغة العربية، فيما يجري العمل حاليًّا في المعجم الكبير الذي يعدّ موسوعة لغوية تغطي اللغة العربية بكافة مستوياتها اللغوية دون ترك شاردة أو واردة، وهذه الأعمال الثلاثة على اختلاف أنماطها ومستوى المقصودين بكلٍّ منها إلاَّ

أنها تربط بين المستويين الرئيسيين الفصيح التراثي والعامي المحدث مع الإشارة إلى الأعجمي والدخيل والمولّد والمحدث.

بقي أن أشير إلى أنني لم أذكر أمثلة معجمية لما عرضته لسببين رئيسيين، أولهما البعد عن الإطالة، وثانيهما معرفة أغلبية قارئي هذه المعاجم معرفة تغني عن إيراد مثل تلك الأمثلة.

الخلاصة.

حافظت المعاجم الحديثة على الاعتماد على الجذر اللغوي (الأصل الثلاثي) للغة العربية، ولم يند عن ذلك سوى معجم واحد في محاولة للثورة على ما تتميّز به العربية. حاولت هذه المعاجم جهد الطاقة عرض المستويات اللغوية الأربعة الرئيسية (الفصيح– الأعجمي – العامي – المولّد) ولكنها تباينت تباينًا شديدًا في الاهتمام بالفصيح فمن محاول لاستقصائه إلى مقتصر على المستخدم منه والمستعمل فقط، كما حاولت الفصل بين الأعجمي والعامي والمولّد من خلال الإشارة إليه بالرمز، علاوة على محاولة ردّ العامي إلى الفصيح، وتأصيل الأعجمي. وأضافت للمستويات مستوًى جديدًا وهو المحدث المعاصر، واجتهدت في إبرازه وتقديمه للقارئ وإثبات شيوعه واستخدامه من قبل العامة والخاصة في اللغة المكتوبة والمنطوقة على السواء، ولعلّ هذا الاهتمام نابعٌ من استقصاء المعاجم القديمة للغة التراث استقصاءً يكاد يكون تامًّا. ويحسب لهذه المعاجم تطويرها لعرض المادة المعجمية في صورة سهلة ومبسطة تبدأ بالأفعال بحسب أبوابها ثم الأسماء بحسب ترتيبها ألفباتيًّا الأمر الذي يسّر البحث في المعاجم بصورة كبيرة، وكان استخدام تقنية الحاسوب في العمل المعجمي وعرض المعجم ضمن برنامج بحث أمرًا يحسب لصناع المعجم الحديث وعلى رأسهم الأستاذ الدكتور أحمد مختار عمر – رحمه الله – الذي قدّم المعجم في صورة إلكترونية. كل ما سبق إضافة إلى إيلاء المصطلحات العلمية اهتمامًا كبيرًا، أمور تصبّ في التطوير الكبير للمعجم العربي، ولعلّي لا آخذ على المعاجم الحديثة سوى مأخذين؛ أولهما عدم العناية بالفصيح بالصورة الملائمة، وثانيهما العناية الفائقة بالمحدث المعاصر على الرغم من المآخذ الكثيرة عليه.

المصادر :

إبراهيم بن مراد، أسس المعجم المختص اللسانية، مجلة اللسان العربي ، عدد (٤٨).

ابن منظور، لسان العرب، تصحيح: أمين محمد عبد الوهاب، محمد الصادق العبيدي ، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – ط/٢ – ١٩٩٧م.

أديب اللجمي وآخرون، المحيط (معجم اللغة العربية المعاصرة)، – دار المحيط – ط/٢ – ١٩٩٤م.

المعجم العربي الأساسي، تأليف وإعداد جماعة من كبار اللغويين العرب – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – لاروس.

معجم متن اللغة: موسوعة لغوية حديثة، للعلامة اللغوي الشيخ أحمد رضا – بيروت: دار مكتبة الحياة– ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م.

المعجم الكبير، مجمع اللغة العربية بالقاهرة(صدر منه حتى الآن ثمانية أجزاء؛ صدر الأول عام ١٩٧٠، وصدر الثامن عام ٢٠٠٨) من الهمزة إلى الذال.

المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة – ط/٣ – ١٩٩٠م.

المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

المنجِد في اللغة والأعلام، دار المشرق – بيروت – ط/٣٧ – ١٩٩٨م.

معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر– ط/١ –٤أجزاء– القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٨.